مختارات فصول

اذعان صغير

فهد العتيق

٧٥

مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

تصدر عن

الهيئة المصرية
العامة للكتاب

○ رئيس مجلس الادارة
د. سمير سرحان

○ رئيس التحرير
سامي خشبة

○ نائب رئيس التحرير
ابراهيم أصلان

○ مدير التحرير
نمر أديب

○ الاخراج الفنى
راجيه حسين

الغلاف تصميم الفنان : سعد عبد الوهاب

مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

(٧٥)

ابريل ١٩٩٠

مختارات فصول - مختارات فصول - مختارات فصول

إذعان صغير

(قصص)

فهد العتيق

الجزء الأول :

- اذعـان صغير
- حصـــة رسـم
- شروق البيت
- تلك القصة القصيرة
- فوزان يقرأ الشوارع ليلا
- رجـلان
- عمود التراب

اذعان صغير

نهضت في التاسعة صباحا ·· ذهبت الى دورة المياه ، اغتسلت وعدت الى فراشي ·

كنت على وشك الدخول في اللحاف الدافىء لما رأيت يدا بجانبي تمتد نحوى وهي تحمل ورقة بيضاء ، مددت يدى ، تناولت الورقة ·· لأقرأ :

« نحن مكتب الحقوق المدنية نطلب منك أن تحضر أمام السيد مدير المكتب في العاشرة صباحا » ·· وكلمة « تحضر » وضعوها بين قوسين أحمرين شديدى اللمعان كأنما هما مرسومان للتو ، وفي أسفل الورقة « ختم أزرق كبير وعليه تاريخ الأمس وتوقيع المدير » ·

الآن بقي ساعة على موعد الاذعان أمام السيد مدير مكتب الحقوق ، وعلى حقيقة أن أذعن ، حتى لا يزداد الأمر سوءا ، نهضت وتناولت افطارا سريعا ، ثم خرجت الى مكتب الحكومة ، دخلت المبنى بنشوة غريبة ، رسمية وجادة ، فبقدر ما أكره مثل هذه الأماكن بقدر ما أجدنى

مذعنا ومنتشيا بشكل مضحك ·· فأنا دائما هنا أتحدث بصوت جديد ، غريب ، مرتفع قليلا ، ويضحك ، ربما لاحساسي بأن علي أن لا أذعن لهم بشكل جاد ، وصلت المكتب ودخلت ، جلست على يسار مدير المكتب الذي لم يهتم لدخولي ، وبدأت أشرح له كيف اني صحوت أصلا لأذهب الى الحمام ، وفوجئت بيد تسلمني ورقة المكتب· ورأيت جاري فجأة يجلس قبالتي على يمين مدير المكتب ·· نهضت بسرعة ، شددت على يده وأنا أضحك ·· سألته : وأنت أيضا طلبوا منك أن تذعن ؟ ·· ابتعد بوجهه عني ·· عدت الى الكرسي مهزوما ·· ليسألني المسئول فجأة :

انت صاحب سرب الحمام الذي يحلق في الحارة ؟

ـ نعم ·· لكن ما علاقة ·· ؟

الحمام الذي يطير في فضاء الحارة رقم ١٢ ؟

ـ نعم !

وفجأة تحدث جاري بصوت مرتفع قليلا كما لو انه يخطب :

أيها المدير :

لقد امتلأ سطح منزلي بالحجارة ·· وهذا الرجل غارق في جنونه المتصل منذ سنين ·· وأنا أريد حلا عاجلا ··

أدركت ان جارى هـو غـريمي ٠٠ ورنت كلمـة « جنونه » فى أذنى بقوة ٠٠ كأنها صفقة ٠٠ فنهضت وقلت له :

ـ اخرس ٠٠

كنت أريد أن أقول له ان عليه أن يحترم المكان على الأقل ٠٠ ولكن مدير المكتب تدخل بسرعة ٠٠ وسألنى :

ـ جارك يدعى انك ملأت سطح منزله بالحجـارة وانك تطارد حمامك فى الفضاء بشكل مزعج للجميع ٠

ـ ليس صحيحا على الاطلاق ٠

ـ وانك تتراجم مع أطفـاله بالحجـارة وأصبت أحدهم بشج فى رأسه ٠

ـ يا سيدى : انهم ليسوا أطفالا ٠٠ انهم شياطين صغار ٠٠ مثل والدهم ٠

رأيت جـارى ينتفض ويقف بسرعة ٠٠ فأومأ له المدير بحركة غامضة ٠٠ كانت ايماءة مريبة جعلتنى أشعر أن بينهما اتفاق ما ٠٠ وملأنى شعور بالضـآلة أمامهم ٠

قال المسئول لى :

ـ هذا الحمام عنـدما يحلق فى الفضـاء بشـكله

الجميل يغرى بعض الصغار لملاحقته اما بعيونهم السوداء الصغيرة .. أو بحجارتهم .

وعقب الجار :

ـ وهم أطفال في نهاية الأمر ..

ثم ضحك بسخرية وكرر .

ـ مجرد أطفال .

قلت للمسئول :

ـ لفظة يلاحقونه ليست دقيقة .. قل يطاردونه بأحجارهم الكبيرة التي ملأت بيتي وأفزعت أطفالى .

قال :

ـ طبعا انت تصرف على هذا الحمام .

ـ تبادل منفعة سيدى .

ـ وهو يتلقى أوامرك .

ـ ليس دائما .

ـ اسمع ..

ـ نعم سيدى مدير الحقوق المدنية .. أنا معك.. أنا جئت هنا لكي أذعن كما جاء في خطابكم الموقر . ونحن في آخر الأمر مواطنون مذعنون بشكل أو بآخر كما ان .. !

وقاطعني المسئول :

ـ عندما يطارد الأطفال حمامك بالحجارة .. وتتأذى انت ويتأذى جارك تكون انت المسئول .

ـ ليس بالضرورة ٠

ـ أليس الحمام يخصك وحدك ؟

ـ ولكنه في نهاية الأمر مجرد حمام لا يستحق منكم ٠٠ ثم ان أطفال هذا الرجل يقصدون الاساءة لى بشكل مستمر ٠٠ لقد كانوا يجمعون أطفال الحارة في سطح منزلهم لملاحقة الحمام ٠٠ حتي وهو بعد راقد فى أعشاشه ٠

وأنا يا سيدى ٠٠ وجدت ان المسألة بدأت تأخذ شكل الحرب ٠٠ قلت اننى لست ضعيفا الى حد الصمت على الاهانة ٠٠ وبدأت أبادلهم الرجم ٠٠ اعترف لك بهذا ٠٠ لأننى لا أكذب وأتمنى أن تصدهم عنى ٠٠ لأنهم بدأوا فى الأيام الأخيرة يستخدمون النبال الصغيرة ٠٠ وأنا الآن أعلن اذعانى أمامكم لكى أحصل على حقى ٠

ـ حقك فى ماذا ؟

ـ هذا الرجل الجالس أمامى ٠٠ عصر أمس ٠٠ كان يجلس القرفصاء أمام بابه ويضحك ٠

ـ وهل كنت تنتظر أن يبكى ٠

ـ كنت أنتظر أن يرمى الحجارة مع أطفاله ٠٠ لأننى كنت أشاهده يصنع لهم النبال الصغيرة التى أثارت رعب أهل بيتى ٠

ـ انت تتحدث كما لو انهم يقصفونك بالقنابل ٠

ـ أجل كما لو انهم كذلك .. لأن الحجارة تتساقط على سطح منزلى وتحدث دويا هائلا .

ـ يا رجل ماذا تقول ؟

ـ يا سيدى الحجارة الآن تتساقط على سطح منزلى .. وربما غدا تسقط على سطح مكتبكم الجميل هذا .

ـ اسمع ..

ـ نعم ..

ـ نحن مكتب الحقوق المدنية .. نرى ان عليك بيع الحمام .

ثم يلتفت الى جارى :

ـ وعليك انت ايقاف أطفالك عن رجم الحجارة .
وأضاف لنا جميعا :

كل هذا من أجل سلامة الحارة .. وسوف نحقق فى الأمر بعد أسبوع .. تدخلت فى شأن قرار المكتب .. قلت للمدير المسئول ان هذا سيكلفنى كثيرا .. وقلت له ان سكان الحارات الأخرى يطيرون حمامهم بحرية .. وقلت له أيضا ان جارى هذا الجالس أمامى، سبق أن عرض على شراء حمامى .. وانه من أجل هذا .

قاطعنى المسئول :

ـ عليك تنفيذ الأمر فورا ٠٠ وتوقيع هذا التعهد ٠
وقعت التعهد وخرجت :

دخلت بيتي ٠ زرت دورة الميـاه ٠٠ اغتسلت ٠٠ عدت الى مرقدى مرة أخرى ٠٠ ورأيت فيما يرى النائم ولم أكن بنائم ٠٠ اننى أبيع الحمام الجميل ٠٠ وكنت أرى جارى ٠٠ وأطفاله ٠٠ ومدير مكتب الحقـوق ٠٠ على سطح بيت جارى يبنون الأعشاش ويطيرون حمـاما جميـلا فى فضـاء الحارة ٠٠ ويومئـون له بالبيارق الحمراء ٠٠ و ٠٠ كانوا يتضاحكون فى وجهى ٠

حصة رسم

(الساعة السابعة صباحا)

● في برودة الحجرة الدراسية المكتظة بالأطفال ، الرؤوس المسترخية على الكراسي الخشبية تبدو على وجوهها ملامح كسل صريح ، ورغبات عميقة في النوم، تختبىء خلف ستار ثقيل من الخوف والحزن ٠

جدران الحجرة صفراء يتساقط جيرها من آثار المطر ، ومن السقف تنزل خطوط حمراء لطين جف منذ زمن ، وفي الزوايا تبرز شروخ سوداء كنما هي أنهار جارية على كف أرض رطبة ، وبين الزوايا الأنهار ، في مساحات الجدران الصفراء ، تقرأ تواريخ وذكريات وكتابات متقاطعة ، وترى رسومات لوجوه مشوهة ٠

صباح جميل وغائم ٠

صباح المدن ـ أيها الأطفال ٠٠

صباح مواويل الشتاء ٠٠

صباح غائم يميل الى الظلام ٠٠ يذكر بأيام الأمطار وأصوات الرعود وسقوط البيوت والهواء البارد يدخل من نافذة الفصل ٠ يذكي مشاعر الأطفال الصغار أو يؤذى أجسادهم الضعيفة ٠

يدخل الأستاذ ، يسرع الى اللوح الاسود ويكتب فى الزاوية اليمنى العليا :

المادة : تربية فنية ٠

الموضوع : اختيارى ٠

وبعمق الفهم بنزق الطفولة ورغبات الصغار فى الحركة الشقية ، رأى الأستاذ أن يأتى بعصاه على مكتبه الخشبى بضربة مدوية ، وفعلها فورا ، فاهتز نعاس الصغار ، وأيقظ الصوت فيهم من جديد تلك المشاعر المتربعة في صدورهم منذ زمن ، بالخوف ٠

يرفع الأستاذ عصاه من سطح الطاولة ، ويطلب من كل واحد أن يرسم في كراسه ما يشاء ، وأن يستخدم من الألوان ما يشاء وانه أخيرا لا يريد أن يسمع صوتا٠

ثم انه رمى جسده على كرسيه ٠٠ وأسبل جفنه على نومة مريحة ٠

كان الهواء البارد القادم من النافذة يلفح وجهه ليبدو السيد مدرس المادة أكثر قدرة على الاحساس بلذة الاسترخاء والشعور بها بعمق ، يأتى التيار سريعا ،

يطعن وجهه وكامل جسده فينام ، بينما تزايد كل الأطفال رغبة ليست أقل من رغبة أستاذهم في أن يغمضوا أجفانهم الصغيرة متمتعين بهذا التيار البارد ومستريحين من تعب الحارة والركض الطويل •

وبعد دقائق ••

راح الفصل بكامل نجومه في نومة جميلة ، ما عدا طفل صغير مازالت عيونه اللامعة تبحلق في المكان بتوجس مريب •

خالد طفل شقي •• وفنان ، ولكنه يكره النوم •

ينام كل يوم أربع ساعات فقط ويقضي بقية يومه في حماس سخي يبلغ ذروته في الصباحات المدرسية ، خالد يكره النوم ويكره أن يرى النعاس المسيطر دائما على وجوه زملائه وعلى المحيا الغامض لأستاذه وفكر في هذه اللحظة انه يتعين عليه فعل شيء •

نهض خالد من كرسيه بهدوء ، يختلس الخطوات الى لوح الفصل ، في مشية صغيرة ، حذرة ، وحلوة ، لا يملكها الا هو ، تناول أصبع اللون الطباشيري الأبيض وكتب على اللوحة بخط عريض : ـ خالد طالب مجد ـ ثم التفت الى الفصل ، وعجب بفرحة غامرة ، كيف ان الجميع لم يشعروا به ، وأخذته نشوة الاحساس بالوحدة والحرية الى مالا نهاية ، التفت الى أستاذه فرأى وجهـا مدورا ، عيناه مسبلتان على نومة واضحة ، وعاد ثانية

الى اللوح تتلألأ عيناه ببريق الفـرحة الموصـولة التى يكتمها في صدره منذ أحس في البـدء ان الجـو موات ليمارس على لوح الفصل ما يشاء ، مسح ما كتبه ورسم شكلا لأستاذه النائم جواره كمـا بدت له هيئتـه المثيرة للشفقة ، وجه مدور وجسد أخذ شكل الرقم (٢) عـلى كرسى خشبى صغير مدور ، وكتب خالد أسفل الشـكل وهو يكتم ضحكة متسلطة : مدرس الفصل ٣/٥ .. ثم عاد الى كرسيه مبهورا بانجازه وهو يعقد عزمه على نقل ما رسمه الى كراسته .

(الساعة الثامنة الا ربع)

● الأستاذ يفيق بكسل على صوت جرس الحصة ، ينظر الى وجوه طلابه فلا يرى الا ظلالا وأخيلة ، فيحس انه لا يملك القدرة على تمييز وجوههم ويوقن تماما أنه أكثر تعبا مما يظن ..

يقف متثاقلا ، يلتفت الى لوح الفصل ، يتأمل الوجه المرسوم ببراءة فيخيل اليه انه رأى هذا الوجه من قبل، يحـرك حدقتيـه بيـديه ، يأمر عريف الفصـل بجمع الكراريس ويخرج مصحوبا بالغموض .

شروق البيت

لضحى البيت في الشتاء مذاق خاص ‥ ورائحة خاصة لم أشمها منذ زمن ‥ صحوت هذا اليوم فعرفت كم أنا أكره المدرسة ‥ وكان أبي قد أخذ لي اذنا بالراحة بعد أن طال عنادي ومرضت ٠

الوقت ضحى ساطع ‥ ونور يغمر البيت ‥ في وقت لم أره كثيرا وهو يرسم ملامحه المتميزة على الجدران والأشياء ‥ لم أر الشمس تسقط علينا من هذا الشرق الجميل ‥ فتملأ الساحة الصغيرة للبيت بهذا الضوء النوراني ٠ كأنه الفرح يصب في بيتنا ٠ رأيت أن أمي مشغولة فركضت الى باب الشارع لأرى كيف تأتي شمس الصباح على شارعنا الصغير ٠ فتحت الباب ٠ وكما لو انني أراه لأول مرة ٠ بدا لي لأول وهلة انه شارع آخر لا أعرفه ٠ وجدت ان الشمس تأتيه من الجهة الأخرى ٠ من الشرق ٠ أليفة ٠ طازجة وجميلة ٠ وأدركت بعمق الاحساس كم أنا غائب عن أشياء رائعة ولها طعم خاص ‥ جلست أتأمل الشارع بفرح من

يتذكر زملاءه وهم يعانون فى المدرسة كأنهم يبكون • وامتلأ رأسي فجأة • بصورة واحدة • لمدرس العربى عندما يتحدث يمتلىء فمه بالزبد الأصفر الذى يرشه فى وجوهنا كل صباح • كانت لحيته سوداء هائلة • وثوبه دائما اسود فيبدو لى وأنا أتخيله انه هو المدرسة نفسها • وأتذكر أيضا زميلى خالد • ذات صباح عندما كنت أطل من نافذة الفصل على ساحة المدرسة ، فأرى البواب يجره الى الفصل ويجلسه بجانبي وهو يبكى بوجه أحمر خجول •

كنت أتأمل الشارع بعمق • واذا حركة النساء كبيرة فى هذا الوقت من اليوم ، يتبادلن مواد الطبيخ وأنواع الأقمشة ويتحدثن كثيرا •• لأول مرة أسمع أصوات نساء حارتنا بهذا الشكل الواضح ••

امتلأت باحساس أن الصباح دائما لنساء الحارات •• بينما المساء لرجالها وطلاب المدارس • وكنت أيضا أرى الأطفال الصغار • الذين لم يعرفوا المدرسة بعد • يلعبون بالأتربة جوار أبواب بيوتهم • وبعد وقت عدت الى البيت بنشوة غريبة • فقد كنت أتمنى أن يطول هذا الضحى الجميل • أكبر قدر ممكن لكى يستمر هذا الاحساس معى بمعنى الحياة • وأعيش متمتعا به •• شربت الشاى مع أمى ومع جاراتها • ثم استلقيت على ظهرى بينهن أتأمل فتحة سقف بيتنا • وأرصد حركة شمس الشرق على جدرانه

بدهشة بالغة وفرح غامر · وكانت جارات أمي يلاطفنني بحركات مجاملة مضحكة · وكنت أكتفي بأن أنظر في وجوههن بكره · وبعضهن يسألن عن مدرستي فأصمت مملوءا بالرغبة أن يعجلن بالخـروج · أغمض حدقتي وأتذكر بحزن تماقب حصص المدرسة وثقلها · وكنت نصف نائم عندما شعرت بحركة النساء · ثم تعود أمي الى جانبي ، تعبث بأصابعها الرقيقة في شـعر رأسي · وكنت أحس بكفها ثقيلة وناعمة · ودافئة تحت شمس الشتاء · فأستمتع بلذة قوية لم أستطع معها فهم ما كانت تحدثني عنه · حتى سألتني بمفاجأة وصـوت مرتفـع قليلا : هل فهمت ؟ رفعت عيني الى وجهها وأنا لا أعرف عن ماذا كانت تتحدث ·· قلت لها : نعم · وسـألتني ماذا ستقول لأبيك بعد أن يأتي ؟ فسكت ·· فقالت :

سوف تقول له انك تحب المدرسة وانك سوف تعود اليها ·· فهززت رأسي وأنا أخفي رفضا صارما · وكنت أفكر كثيرا انني أخاف من أبي · وركضت مذعورا كفأر الى غرفة قصية مهملة · كنت أحفظ بها أشيائي وأنام في احدى زواياها · بقيت ساعة في الغرفة الصـغيرة لا أعـرف ماذا أعمـل ·· كنت فقط أرسـم خطـوطا متشابكة ومتقاطعة في دفتر الكشكول · خطوطا ليس لها دليـل أو غاية · أخط في ورقة وأمزقهـا · حتى أحاطت بي الأوراق المشوهة من كل جانب وكنت أشعر برغبة في البكاء · نظرت الى الأوراق المكومة حولي في

ظلمة الغرفة • والى الشعاع الشمسى الذى يطل على من ثقب صغير في نافذة الغرفة ، ولا أدرى لماذا شعرت اننى لا أكره المدرسة فقط • بل اننى أكره البيت أيضا بشكل غامض •

تلك القصة القصيرة

(أ) سرير أبيض مستطيل . بمحاذاة جدار ساخن، رجل يحتل جانبا من السرير . يستند على لوح أحمر . اللوح يستند على جدار ساخن . كان جسد الرجل يأخذ شكلا مائلا .. وقف نصفه الأعلى بينما تتمدد أطرافه في مساحة السرير ببذخ سافر .

رأس منحن .. وعينـان تسقطان عـلى حـروف متوهجة فى كتاب .

(ب) ... المرأة الجميلة . التى كانت فزعة جـدا سمعت صوتا صارخا في الخارج . فتكومت فى احـدى الزوايا . فتح الرجل باب الغرفة . وظل يقترب منهـا فى خطوات بطيئة مترنحة وهائمة . وبحدقتين حمراوين وكان لون وجهه يميـل الى الزرقة . كان يقترب وهى تلتصق أكثر بالجـدار . يقترب وهى تضغط جسـدها المرتعش على الجـدار النـاعم . يقترب فيتعلق رأسها الصـغير فى فضـاء موحش يصيبها بما يشـبه الدوار

فلا تستطيع أن ترى هذا الرجل ـ الشبح ـ ولا ترى الغرفة ولا تسمع خطوات الذى يقترب منها لتلامس كفه رأسها بصفعة صارخة فتستيقظ الطفلة النائمة في داخلها منذ زمن وتبدأ من جديد فى الهرب. متمسحة بالجدار تمشي في خطو متباطىء وعيناها الزائغتان لا تفارق وجه الرجل الذى يسير خلفها • وبدأ يشعر باستسلامها • تقف المرأة اذ لامست أصابع يدها مقبض الباب • تضغطه بقوة ولا يتحرك تتوقف تماما • تسند ظهرها الى الباب • تبكى بينما يهل عرق غزير على خديها وشفتيها وعنقها وصدرها الناهض لتوقن تماما انها وقعت فى الفخ • الذى لم تحسب له حسابا • عندما قرأ والدها فى ذلك الوقت بوجه فرح • آيات الثناء على رأسها • لرجل بهى الطلعة تقى تملأ وجهه لحية ورهة •

توقفت تماما • وهي ترى صورة كان عليها الرجل قبل أن تعرفه وصورة أخرى جديدة لرجل معتوه يريد أن يبتلعها بكامل خوفها • واذ تنهض المرأة الأخرى فى داخلها وهي متجمدة تحت الباب تحاول أن تقف وأن تنسى عرقها ودموعها ورعشتها وأن تقترب منه ثم تبتسم له وتقول : لك ما تشاء • • و • • فى آخر الليل • ترى نفسها وقد نهضت من فراش الحب لتجدل حبلا فى يديها • ثم تنظر الى الرجل الراقد فى بذخ مجنون • • والمرأة الجميلة نهضت من داخلها • تضحك بجنون • • بينما تصدح فى الغرفة رائحة احتفالية مجنونة لليل غامض •

(جـ) سرير أبيض مستطيل بمحاذاة جدار ساخن .. رجل يحتل جانبا من السرير يقرأ قصة .. وامرأة تتقلب الى جانبه في متعة واضحة . بينما الرجل الآخر في داخله يحاول أن يفصح عن نفسه . !!

فوزان يقرأ الشوارع ليلا ..

— ١ —

« قلت ذلك من قبل .. قلت انها ستعود » .. حدق في الوجه الشاحب الجميل .. ظل يحدق مبهورا وكأنه تحول الى أحداق .. « هـل سمعت الغنـاء وعادت ؟ » وأزاح فوزان غطاءه .. نهض فكشف عن جسد ناحل أصفر وبانت بقعة دم متيبسة عـلى احـدى ركبتيه . والجرح ينزف ببطء شديد . مشى اليها مادا ذراعيـه الى الأمام .. تعثر في جسد راقد .. مشى حتى اعترض كفيه جسم لامع صلب .. تحسسه .. التصـق به .. التصق به أكثر ورفع ذراعيه الى أعلا .. ألصق شفتيه .. طبع قبلة طويلة على جدار بارد . وأفاق .

●

لكنه لم يتم ..

... بدأ يحسب لادراك الشاب الذي أمامه ، وهو يرى شابا قديما ينطلق فجأة من أغوار سحيقة في داخله .. أيقن انه لا ضرورة لتبرير أي شيء . ظـــل فقط يتأمل وجه الشاب المترع بالحماس .. ويـــرى وجهــا قديما له فيه . وهو يحسب مرة أخرى انه أدرك معنى صمته ، ولكنه رأى في عيني الشاب عتبــا عميقا .. عتبا بريئا تزخر به هذه الاعين المتوثبة .

أراد الشاب أن يتحــدث . قال كـلاما كثيرا .. الأستاذ يقاطعه ، ودائما كلمات من نوع : ليس كذلك بالضبط .. لا تكن مبالغا ..

لم يستطع الشاب أن يستمر . بدأت خطواته تثقل أمام ردود مدير الفرع . صغرت خطواته وهو يرقب خطوات أستاذه تتجاوزه . مكتفيا بصورة رســمها في رأســه لأعين رآها تلمع في وجه الأستاذ وقد انطلقت بسرعة من داخله .. ربما دون أن يدرى بينما غاصت بقية كلمات الــرجلين في أعماق ملتهبــة مشــلولة .. لا تستطيع البوح .

•• رأيت سماء سوداء تتلألأ فيها نجوم وتخفت نجوم •• لا غالب في منتصف الليل ولا مغلوب •• ركبت سيارتي الصفراء •• هذا هو الاسود الذي رغم السنين لم اعرفه ولم يعرفني •• هذا الاسود الذي كلما اقتربت منه يبتعد •• له عينان غامضتان •• وهاقد عاد دوار الرأس ••

اسقيني يا أم المصدور ماء ليل صاف •• بالامس اذا أصاب الرأس الدوار أنام •• واذا أحزن أنام •• واذا افرح يرقص في الحلق الكلام •• ويخرج غنـاء للوقت ، واليوم اذا أصاب الرأس الدوار أدور •• واذا احزن أدور •• واذا أفرح يجف في الحلق الكلام •

لا • يمينا لست أبكي• وليس مايقطر مني دموعا، هذا صوت مغن مصدور صار في الوحدة برميل قمامة •• تلك قطرات طل من سحابة المدينة النعامة •

رأى اطيافا تومىء على الطريق •• قلت : أهـلا بالوجوه الجميلة •• ياللناس الذين يعيشون منتصف الليل •• ولم لا تركبون ونحن ندور •

سقط احدهم جوار البـاب فحمله اصـدقاؤه •• اقفلوا الأبواب فركبت الطريق •• تزاحموا يتضاحكون ••وكل يعاقر شيئا في يده •• ما اجمـل هذا الاسود الحبيب •• هذا الذي كلما اقتربت منه يبتعد •• هذا الذي لا ينتهي •• وجدتني أقود بانتشاء •• هذا هـو العيـد ــ فاكليـل زهور على قبر الحبيبة •• ومرثية

لحيـــاة لم تر شمسا ـ ولا تتدحرج كراتها أمام ربيع ، قلت أيتها الحبيبة ، اهدئى يا نفس وتخثر يا دم وتحجر ايها القلب الذى ينضح ماؤه أحمر • فأنا مملوك لهـذا الوقت •

•• يا للناس الذين يعيشـون منتصف الليـل •• وجوه فرحة مستبشرة •• وجوه باشة مستبشرة •• وأنا فرح أضحك •• آخذ من أيديهم اللامعة البيضاء وأقدح ••

أقدح وأضحك •• وأدخن معهم سيجارا عجيبا •• حتى وجدت الرأس يكاد ينفلق •• نادمتهم حتى سمعت صدى صوت ضربة على ظهـرى ـ انت تسـير فى كـل الخطوط •• يا أخ •

•• وانتبهت اذ فتحت أحداقى •• كمـا لو كنت غائبا •• التفت اليهم •• أهلا •• شـباب يمرح •• وسفر دائم •• (الجامع الكبير : صوت الشيخ) ونسيت اننى لم أر القمر •• يا لهذا الليـل الأظلم •• وهـذه الوجوه الجميلة ، يا لهذا الكلام الذى يجف فى الحلق •• كأن الشوارع لا تصل •• شوارع سوداء بغيضة بلا ناس •• وأرصفة جامدة وأغنية تفسح شريانا مريضـا •• أحدهم يتقيأ •• بأى رأس يفيق •• كيف أقول لك وهم فى اتساع الصدر •• هل أقول نامـوا على صدرى •• الآن استقر طائرى الفزع •• يا لهذا الفرح الراقد فى أحداقهم •• يهدهدنى •• ويبلغنى قمة الانتشاء ••

وأهيم في الشوارع هذه السوداء •• ثم صوت أحدهم يتنهد :

ـ هنا أيها الأخ ••

ـ نزل اثنـان وبقي ثلاثة شيعت النازلين حتى مدخـل مظلـم قذر •• رأيتهم يصـادمون أجسـادهم ويتضاحكون •• وأنا خائف من عودة احساس الوحدة •• قال أحدهم وكان راقدا : واصل المشوار •• واصل أيها الربع ـ •• قلت فلتحيا الاهانة •• هـذا طريقي •• ظللت أدور •• أقول لك ظللت أدور وأغني •• والشباب نيام •• ظللت أدور حتى الصباح ••• فدنوت من رصيف هادىء •• توقفت وملت بالمرتبة •• استلقيت ثم زحت في اغفاءة طويلة •• كانت الشمس حينها تنشر بعض خيوطها الصفراء •• أفقت ورأيتني وجها لثلاثة وجوه أمامي ثلاثة شبان •• قالوا كانوا نائمين في المرتبـة الخلفية ••

رأيت حرسا وجـدرانا متقـاربة •• رفعت رأسي فرأيت نافذة صغيرة عالية •• التفت الى أصدقائي •• قرأت على ظهر أحدهم : (•••)

•• كل الأشياء في الخارج ترسم حـولي تفاصيلها •• حتى نهار المدينة البعيد •• اثنان لم يحتفلا بعيدها •• أنا والمدينـة •• في يوم مشرق رمانا في التيـه •• في مدنه المجـدولة التي أراها تتشـكل •• وكنت أذهب باكليل الزهور الى قبرك •• وأعود بجواد يصير

جديا وأنا صرت الى ذبابة .. فاسقيني يا أم المصدور .. أو اقصيني عن أرجوحة هـذا المـوت الحى ، فى البيت أنفاس .. وأفـواه صـغيرة بلا أثداء .. وفى الدار الجديدة جسد ناحل أتعبه الترحال » ..

●

— ٣ —

كتب فوزان العنوان على المظروف : «مقبرة العود» .. وأودعه يد جندى قال انه لا يعرف القراءة ، عاد الى ركنه .. تذكر انه لم يسأل الجندى عن جرح ركبته وحذائه الضائع .

رجـلان

للمكتب الحكومى الوثير طعم رائع، اذ تأتيه الأوراق وتخرج بيضاء لامعة ، الباب واسع للزائرين٠ وكاسات الشاى تتقاطع فى اتساع الوقت٠ خضراء لذة للشاربين٠

للوقت البارد رحابة تأخذ شكل الرتابة والأمان ٠ وكسل مرح يدير الرؤوس ويحنيها ٠

وها قد عاد الى وقته من جديد يتمدد فيـه ببـذخ المترفين ٠

بالأمس كان يلبسه فتضيق أطرافه المشتعلة واليوم يلبسه واسعا فيرى النور والبهجة ٠

عاد ليقول بنزق مترف ٠٠ انه فقط بحاجة الى أن يرتاح ، غابت سموات أكثر غيما ٠ وحضرت سـموات أخرى وخلفه يركض لقب جميـل مترع بالـكبرياء ٠ وجد بزهو بالغ ان كل شىء أصبح أكثر جمالا ٠ وأدرك بغبطة عميقـة ان كل ما كان يـؤرقه وما لم يحسب له حسابا هو الوقت ٠٠ السيد الكبير الذى عليك أن تقطع أوصاله ٠ متفانيا بالعناية بنفسك ، وجسدك ٠ وروحك

المريضة بهموم الآخرين ، وشعر انه قادر على التعايش مع واقع جديد بحماس طفل بدأ ينمو ويشتد عوده ، فأسلم نفسه لموجات عارمة من الفرح . راح يتدهور .

خلفها برقص كهل ، أثث البيت القديم ، واستلم أوراق منصبه ، مدير فرع جديد للمؤسسة الثقافية والفنية .. ثم مضى هادئا يمشي باقدام مسئول . يقطع كل دروبه بالبهجة اللذيذة التي تلطف صدره . يمكث في المكتب الباذخ ويعود الى منزله بروتينية محببة الى نفسه ، يسبح في الوقت الذي بدا له واسعا ينفقه مهروسا بالشعر والموسيقى والمرأة . يدحرج صورة وجهه وهوسه على صفحات الجرائد . والمجلات الفرحة بحضوره الكريم . ويعود الى منزله بالروتينية المعتادة المحببة ..

ظل هادئا جدا ، كما لم يعتد أصدقاؤه ، مدير مسئول يذهب الى مكتبه من أجل أن يعود فقط . مستمتعا بلذات عديدة . وكان يبدو انه لا نهاية للطريق الملىء برائحة الهواء الطرى . وهو يسير بجسده الكبير ، أطرافه الحمراء ضخمة تبرز من ثوبه في الحى الهادىء الذى يبدو له كما لو انه لا يحضن سوى منزله . ومكتب عمله .. خمس دقائق فقط بين البيت والعمل .

وأمام هذه الحياة الجديدة ضاع كل شيء . وصارت تستغرقه دائما نشوة قادحة ويغمره شعور مستمر بالغبطة . ياخذان كل وقته السخى وينحدران به الى

عالم من التأملات والآمال · عالم لا يكون فيه الانسان الا خليطا من الشبع والراحة · أو مزيجا من كبرياء مغرور شامخ وفرح يبتهل أن يدوم الرخاء · وترف الرأس الذى لا عمل له ·

ان كثيرا من المصادقات تحدث فى أوقات غير لائقة·

هذا ما استغرقه في ذلك المساء ، وهو يعود الى منزله متأبطا عباءة صفراء منقوشة · فى الصباح هاتفه المسئول ولم يجده ·· مضى شهر على تعيينه ولم يهاتفه أحد من هؤلاء ·· انعطف الى الشارع الآخر وكانت تبدو له لا نهائية الطريق الذى رسمه وأصبح يسير الآن فيه · الأمر الذى فتح النافذة واسعة · أمام شاب كان يسير خلفه ·· أن يحدث نفسه قليلا ·· ثم يتقدم منه ويسأله بمفاجأة :

ــ هل هذا هو الشارع الذى يؤدى الى منزلكم يا أستاذ ؟

اهتزت كل صور الهدوء فى نفس الرجل وهو يتوقف أمام السؤال ثم ما تكاد تمضى ثوان حتى يلتفت ينظر في وجه الشاب ثم يبتسم ·

ــ نعم عزيزى هل تريد شيئا ·· ثم يتابع طريقه ·· مضى بكل الهدوء والاتزان والألفة حتى وازى الشاب خطوته وبادره ·

ــ أرجو أن لا يكون الطريق متعبا لك ؟

رد بحماس وضحكة على وجهه ·

ـ أبدا •• أحتاج الى خمس دقائق لأصل الى المنزل قال ذلك وهو لا يدرى اذا كان يود أن ينتهى فـورا الى منزله أو يستمر الشارع طويلا الى مالا نهاية •

ان خواطر مليئة بالريبة بدأت ترسم لوحات ملونة على وجهه المدور السمين فقد عرف أن الشاب أحد طلائع المسرحيين بالفرع وأحد الذين وافقوا عـلى عدة بيانات رفعت الى المسـئولين يـريدون النهـوض بهـذا الفن «العظيم» على حد تعبيرهم، وغادرته فورا حالة الهدوء ودون أن يدرى أسرعت خطـواته المرتبكة وهو يرمى الشاب بنظر مخاتل يختلسه اختلاسا • صـانعا عـلى شفتيه ابتسامات ملونة ، تقـدمه الشـاب قليـلا فى خطوات أكثر اتزانا •• ثم تتوازى الخطوات •

قال الشاب :

ـ يبدو اننا سنتعود روتين المشوار اليومى •

ـ هل أنت قريب من هنا ؟

ـ نعم منزلنا فى نفس الحى وقريب من فرع المؤسسة التى نعمل بها •

لم يشعر الرجل باقترابه من الشـاب وهو يسـير ليسأله ؟

ـ هل تعمل معنا فى الفرع •

ـ تلميذكم ، قرأت لك كثيرا من قبل !! ••
وفرحة لنا جميعا بمنصبك الجديد •

وأضاف الشاب بصدق وحرارة .

ـ لدينا الكثير من المشاريع المسرحية . وهي تنتظر مباركتكم .. ثم وهو يزداد صدقا وحرارة عفويتين .

ـ لقد بالغ المدير السابق في الاساءة لأكثر أعمالنا ولم يستوعب الكثير من طموحاتنا ، .. ولم يفطن الأستاذ لبعد كلام الشاب ، والخطوات متوازية تماما .. في الطريق الذى يتمنى الشباب أن يمتد الى مالا نهاية وكان قلبه يخفق بالفرح .. اذ يكفى انه يمشى جوار الرجل ويقدم له مشاريع الشباب التى رقصت فى صدورهم منذ زمن طويل .. كان الشاب يتحدث بينما خطرت فى بال الرجل أشياء كثيرة راح معها يغرق فى تأملات قبضت روحه بشدة وفكر مع نفسه وهو يستمع الى الشاب دون أن يعى ما يقول تماما ، وكان يرميه بنظرة جانبية : يعنى أنا أصلح للفرع ، وامتلأ بخليط المشاعر المرتبكة .. لأول وهلة شعر بسعادة من نوع رائع ، ملأت صدره . لم تلبث ان صارت الى كآبة عميقة أحس معها برغبة هائلة فى البكاء .. كلمات من نوع « تصلح للفرع » .. تنتظر مباركتكم لأعمالنا .. كانت كافية لارباكه وهو يتذكر ماضيه المتوثب وحاضره الرسمى البارد . رسم على وجهه ابتسامته المكتبية الصفراء ،ورد باقتضاب بعد أن استعاد نفسه : ليس كذلك بالضبط .. انما !!

لكنه لم يتم ..

... بدأ يحسب لادراك الشاب الذي أمامه ، وهو يرى شابا قديما ينطلق فجأة من أغوار سحيقة في داخله .. أيقن انه لا ضرورة لتبرير أى شيء . ظـــل فقط يتأمل وجه الشاب المترع بالحماس .. ويـرى وجهـا قديما له فيه . وهو يحسب مرة أخرى انه أدرك معنى صمته ، ولكنه رأى في عيني الشاب عتبـا عميقا .. عتبا بريئا تزخر به هذه الاعين المتوثبة .

أراد الشاب أن يتحـدث . قال كـلاما كثيرا .. الأستاذ يقاطعه ، ودائما كلمات من نوع : ليس كذلك بالضبط .. لا تكن مبالغا ..

لم يستطع الشاب أن يستمر . بدأت خطواته تثقل أمام ردود مدير الفرع . صغرت خطواته وهو يرقب خطوات أستاذه تتجاوزه . مكتفيا بصورة رســمها في رأســه لأعين رآها تلمع في وجه الأستاذ وقد انطلقت بسرعة من داخله .. ربما دون أن يدرى بينما غاصت بقية كلمات الــرجلين في أعماق ملتهبــة مشــلولة .. لا تستطيع البوح .

عمود التراب ..

دار الهواء حول نفسه دورتين .. ثلاثا .. أربعا فاستيقظ التراب الراكد منذ زمن . وبدأ يلاحق موجات الهواء الصغيرة التي تدور حول نفسها ، اتسعت الدائرة ، فارتفع التراب عمودا أحمر . أخذ مكانا واسعا في الفضاء الفسيح على حدود المدينة مدفوعا بريح أكثر يأسا .. صارمة .. بدأت تلوب كأنها امرأة تبحث عن حبيب مفقود .

الهواء يصارع نفسه في أعماق المدينة .. يهب عليها من كل الجهات كأنه يريد ابتلاعها بصفير حاد .. غاضب وصارم ـ والتراب بغزارة يتساقط على الرءوس المبهورة .. يغطي أسطح المنازل والمساجد .. يغمر فناء المدينة بالعتمة ، ويتحرك إلى الضفاف الأخرى .. يعبر الشوارع والأرصفة ، الحارات وجوه الناس ، يغمر الجدران .. الأشجار .. ومقابر الأجداد .. يغمر كل شيء مدفوعا برغبة ما ، غاضبة وكئيبة في جو رهيب .

الرجال والنساء والشيوخ يركضون الى مساكنهم مثل فئران مذعورة • يغلقون الأبواب والنوافذ بأصوات تتوحد في صندوق الذعر : غضب عارم حل بالمدينة الطيبة •

من الداخل تأتي أصوات الشيوخ غامضة •• الأصوات الأكثر ارتفاعا ويأسا • يصرخون في ضجيج الأشياء حولهم •• للسماء سطوتها وللريح جبروتها وللأرواح حبورها وخوفها•• يعبئون الكئوس المكسورة بالتعاويذ والبكاء •• يضيفون خوفا على خوف •

الأطفال ينسلون من مساكن آبائهم خفية •• يركضون في الحارات • كأنهم يحتفلون بضيف المدينة• في مهرجان بهجة وشرود وخوف لذيذ •• يرقصون في الحارات للذي دخل مدينتهم معتلىء الفم بالكلام ، يركضون في الشوارع وتحت الجدران •• يزفون وقتهم الى حرارة أخرى مكتنزة •• عذبة وجريئة في عرس كأنه موصول منذ آلاف السنين •

يزفون الغبار العالق بثيابهم وشعر رؤوسهم الى جدران أعمارهم المدهونة بفرح أصابعهم الصغيرة • يقرأون أسماءهم وتواريخ ميلادهم ساقطة تحت الجدران أكواما سوداء •

الريح تتجه جنوبا تقود تراب المدينة •• وتزيح بعضا منه عن قرص الشمس •• وتبدو في خروجها المهيب كما لو أنها عروس من النار •

الأطفال ينفضون التراب عن شعر رؤوسهم وثيابهم وأصواتهم القديمة . يرشون الماء على التراب الذى بدأ فى الركود .. يعجنون الطين من جديد . يتذكرون أسماءهم القديمة وتواريخ ميلادهم .. يرسمونها على الجدران مرة أخرى ... الجدران التى صارت أكثر بريقا تحت شمس ساطعة وجديدة .. يمرون بأصابعهم على الجدران المدهونة بأحلامهم الطفلة .. يغنون بصوت واحد للمدينة .. للشمس .. للريح .. وقبل ذلك يقولون للناس :

اخرجوا من منازلكم ، لأن الريح لم تعد ريح .

الجزء الثاني :

نصوص صحراوية :

- وظيفـــة
- فصـل غامض
- خـوف
- راس
- موسيقى الاجيال
- مجرد نداء
- الرحيق

وظيفة

● في الصباح . بعد أن استيقظت كنت أشعر كالعادة . أنني في حاجة الى فعل شيء ما ، كنت غامضا حتى التعب . بالاحرى . تائها . وكنت على يقين باهظ بأن أية خطوة خارج البيت للبحث عن وظيفة هي خطوة بائسة وتعسة . ومحض عبث . لكنني لست بليدا لأنني أبارك ساعاتي . وأتلو عليها أغنياتي . نهضت أنفض راحتي من سبات طويل . خلعت ملابسي ودخلت الحمام مكثت في مائه الدافيء . ثم عدت الى غرفتي . صنعت كأسا من الشاي . وضعت شريطا في الجهاز الصغير . وبدأت في عمل أشياء كثيرة .

نظفت غرفتي وراجعت أوراقا قديمة .

لكنه يتعذر على الا أكون متعبا رغم اني أستطيع اقناع نفسي بجدوى أي عمل أقوم به . وكنت أهجس بالوظيفة التي صارت مثل الحلم التعس .

كتبت وقرأت وأشعلت نار التاريخ . للغة المخنوقة الأنفاس. ذررت رمادا الأشياء . فالتمعت شهبا وأقمارا. بينما تصدح موسيقى . وكنت أبدو كما لو انني أريد أن أجلد نفسي بالتعب . عقابا ذاتيا موصولا صحيحا وعميقا حتى النسيان .

كانت ايقاعات الموسيقى ترتفع عذبة وغامضة . ذراعاى تتركان كل شيء . تتمـايلان ببطء . صـوتى بنبرة واهنة يرتفع قليلا مع ايقاعات الموسيقى . رفعت الصوت متجاوبا مع هذه الحالة الجديدة . أغلقت باب الغرفة بتوجس . أغلقت النـافذة . وسرعان ما بدا جسدى وأطرافي . كما لو انها ترقص . رأيت ذراعى تتمايلان . تعانقان فضاء الغرفة بنزق طولى . وأطراف أقدامي فى حركات دائرية موصولة ..

وكنت كلما أتم دورة . كلما أبدأ في أخرى. مقنعا نفسي أنه ربما . حان الوقت .. بعد هذا الانتظار . للرقص . وارتفعت حدة كل شيء .

بدأ جسدي ينزف العرق . وبدأت أشـعر بنشـوة الفعل . أذرع فراغات الغـرفة . وأنا أتمايل بشـكل جاد . وصريح . مع ايقاعات موسيقية غامضة وأصابع قدمي تلامس بخفة ورشاقة أرضية الغرفة . وجسـدى يتثنى بفرح جاد .

شعرت أنني أريد أن أعيش هكذا . متمتعا بهذا الوقت ببذخ شديد . حتى سمعت صوتا فى الخارج . ولكنني . فى ذروة المجد . أتظاهر كما لو أني لا أسمع سوى الموسيقى .

الموسيقى فقط .

فصل غامض

عدت الى البيت فى الثالثة ظهرا لأجده كالعادة فى انتظارى ، صامتا ، بوقفة مهيبة ، وضعت الصحف جانبا ولم أجلس لآكل ، مضيت الى غرفتى بسرعة ، لم أخلع ملابسى ، ولم أدخل الحمام ، اتجهت رأسا الى السرير ، رميت جسدى وفتحت جهاز التسجيل ، كما لم أكن معتادا • وآثرت هذا اليوم أن أنام على ظهرى • ويالله ، أية راحة تكشف عنها هذه الطريقة فى النوم ؟!

كنت أحدق فى سقف الغرفة ، كأنى أراه لأول مرة ، كان متشققا ، وجيره الأبيض مقشورا من أثر المطر ، وفى الركن الأيسر للسقف آثار حذاء طبع نفسه بقوة ، وعندما نظرت الى أرضية الغرفة ، شملنى دوار عظيم ، حتى ان سلطان النوم ، داهمنى فجأة ، على غير عادة • بشكل ممتع ، ولذيذ ، فهل كنت بحاجة الى مثل هذا التغيير كى أنام بسهولة ؟!

خوف

قلت لك انني عندما رأيتك أمامه مرتبكا • شعرت بالخيبة التي دفنتني في الحزن البالغ ، وقلت لك انك بدوت أمامه كخائف لا يقوى على الكلام ، كانت الكلمات تخرج من فمك بأحرف مخنوقة ، متقطعة ، ومرتجفة ، كأنها تبكي ، وكنت أرى وجهك أصفر ، وجسدك يهتز بصراحة واضحة •

كنت تحاول أن تحني رأسك وأنت تتحدث أمامه ، أو وأنت تخرج منديلك الأبيض بتوتر لتمسح عرق جبينك ، وكنت تدافع عن نفسك كثيرا ، في غير ما داع، في وقت كنت تحتاج فيه الى سؤال صغير جدا :

لماذا فعلوا بك هكذا !؟

قبل أن تدخل ، كان الرجل يسألني بأي وجه سوف يقابلك ، وكان متوترا •

بعد أن خرجت رأيته يضحك بعمق شديد •• بعمق •

رأس

● .. صاعدا درجات السلم الطيني .. حتى أصل الى النقطة الأكثر ارتفاعا في بيتي .. أتأمل بيوت الحارة واحدا فواحدا وعمارات المدينة واحدة فواحدة .. وأختزل تاريخ المدينة في صورة واسعة .. من هذه الجدران العالية ، البيوت الطينية صفراء .. هادئة كلوحات تراثية موصولة .. والمنائر تتسامق ساطعة .. وكنت في ارتفاع بحيث أن نخبة من البيوت تبدو بارزة قليلا .. لاصطاد النظر الى رأس بشري من البعد . كان ثابتا بدون حركة . وكان يبدو لي من بعيد . شكلا جميلا . نقطة صفراء لانسان .. وكما لو أنه يراني . مثلما أراه . نقطة بعيدة . كنت أتأمله . حتى رفعت يدي ملوحا له . ولكنني لم أجد استجابة واضحة . فقط تحرك الرأس حركة صغيرة . ثم عاد الى سكونه .. فرفعت يدي ملوحا مرة أخرى . ولم أجد ردا . وبدا لي الرأس أكثر جمودا كصنم . كأنه يريد أن يتفرج فقط . دون أن يكون بحاجة الى مد جسور علاقة مع أحد . حتى

رأيته . بعد وقت . يتحرك ويميل برأسه . فلوحت له بيدى . ارتفع قليلا . فلمحته لأول مرة واضحا . بثوب أحمر زاه . كأنه الفرح نفسه .. يرقص على جدران بيوتنا . ويطل علينا من علو . يليق به .

موسيقى الأجيال

● السيدة الصغيرة تصل الى البيت .. تفتح الباب .. تدخل .. وتتركه مواربا .. ترمى حقيبتها المدرسية . تبدل ملابسها . تدخل المطبخ . تقترب جهاز التسجيل . تضغط زر التشغيل وتبدأ العمل . على أنغام عالية لموسيقى الأجواء .

السيد يصل الى البيت .. يغلق الباب الموارب . يرمى صحف اليوم . يلقى التحية . يلقى سلة الفاكهة . ويبدل ملابسه . يدخل المطبخ بحماسة طفل . يرفع صوت جهاز التسجيل قليلا . يغنى . تصدح هى بالصوت الناعم . يرفعان صوتيهما لتعلو نغماتهما على موسيقى الأجواء . يغنيان بفرح صغير . وتعب لذيذ . في وقت لذيذ . يوزعان الضحكات على النوافذ والجدران . يلوحان للوقت بالبشارة . وللتعب بالغناء .. وهما الجديدان على الوقت . يفتضان تخوم المسافات الحزينة .

السيدة والسيد يأكلان • يتحدثان • ثم يغسلان الأطباق • السيد ينظر في وجه السيدة الصغيرة • يقرأ التعبَ الراقد على جبينهـا • يقرأ موسـيقى الاجـواء الصيفية • ويشم حرارة أنفاسـها • أسئلة حزنهـا • أسرار وقتها • طفلة ترفع رأسها الصغير • تتحدث • يفتش في كلماتها • لا شيء سوى رجع التعب • هـكذا يتخلق في عينيها • نهر أسئلة كامنة • وهي في الوقت ضباب قاتم يملأ وقته الدائخ •

السيد يتناول صحفه اليومية ••

السيدة تتناول كتبها المدرسية ••

يصعدان الدرج ••

بينما موسيقى المكان تصدح لحنا عربيا •

مجـــرد نداء

وقت ثقيل .. وحزن ، ووجه شاحب ، قديم، وشفاه مشققة ، وشعر أسود غزير ، يابس يسقط بعضه عـلى الجبين ، وأرق منتظر ، أفلت منه الى فرحي الجميل ، أتـرك وجهي ، والمـرآة وأخـــرج ، أدخن وأمشي ، أقذف بجسدى عاليــا ، أقذف به في الهــواء ، تتلقفــه الأرض ، فيهدل بالحــزن في حضنها المترب ، تضمنى الأرض ، ويعاودني المشي ، أمشي المســافات الطويلة ، أدور ، وأطلق فرس الكلام صـــهيلا ، وبكاء طــويلا ، وغناء ، أنزعه من صدرى فيجيء الصوت هزيلا ، يضمه الهواء ، وأضحك . أضـــحك اذ أرى مالا يرى . القط الاســود الثقيل يتمطى ، وأرى كلابا ، وذرات غبــار تسقطها أضواء الجدران ،وكهل نصف عار يجمع علبــا فارغــة ، ومزق الأوراق يرقصــها الهــواء بلا شراب ، قـــراطيس تركض خلفي وأمامي وفوقي تطــير دونما أسباب . كل الأشياء تتقافز .

ما من شيء يعبس في وجهي ، أمد يدى ، لم تصافحا سوى الهواء ، الظلام • ميت بلا ضريح ، والهواء لحن بدائي ، يسكت في لساني الحروف ، الهـواء لجام اذ تهمس ورقة حلم في حلقي •• آه لو تهدل حمامة ، أو ينهق حمار ، أو يموء ذاك القط السمين •• وقلت في نفسى علام الحزن والهدوء الليلى كؤوس تتوالى ، عـلى هذا الايقاع الطبيعي الحلو، ورأيت عرافة الليل تدور، تضيء النور وتقرأ وجهى •• وأنا قد خـدرت قـدمى واشتعل الدم الســاخن في جسـدى ، ضـوء باهر في وجهى ، قلت هذا بيتى ، كانت أحداقها لامعة كتضل ، تشممت جسـدى ، وامتحنت عقلى ، كانت الأرض في عيني تضيق والسماء ترتفع لتكون قمرا صغيرا، شاحبا، ارتفع الصوت يزهو بنوره وقامته ، وشعر لحيته المجعد، وأنا فاقد صوتي ، أستعيد ذاكرة المســاء ، قلت أذكر قطا أسود سمينا ، وكهلا يدور ، وكــلابا ، وقراطيس ترقص •• وهواء وقلت أذكر •• فعادت عرافة الليل، اشرأبت مرة أخرى ، والتهب صوتها في رماد صوتي ، قادتني الى بوابة ، ثم الى باب ، ثم الى ركن اسود صغير، ورأيت كفا تهوى على وجهي ، وجدتني أصادم الجدران، وألف أصابع يدى على عيني •• ثم رأيتنى أتمـدد في ذاك الركن الاسود بحزن آخر •

وقت ثقيل •• وحزن ، ووجـه شـاحب ، قديم ، وشفاه مشققة ، وشعر أســود غزير ، يابس ، يسقط

بعضه على الجبين . وهذا صباح حل بلا نوم ، انخرطت في بكاء عظيم ، حتى دخل قائد العرافة ، فانخرطت في بكاء آخر ثم اني استعدت صوتي وكان الهياج .

الـرحيق

كنت متعبا جدا ، أقاوم رغبة متسلطة في النوم ، نهضت بنصف جسدى الأعلى ٠٠ وقلت لها كما لو أننى أغنى ٠٠ أو أتم حكاية :

أستطيع أن أضغط زرا صغيرا لترى بعينيك الجميلتين ـ اللتين سيأكلهما الدود يوما ـ كيف تستحيل هذه الغرفة الصغيرة الى بهو ، ولكن فيما لو حدث ان تبدل شىء فى تلك اللحظة التى انصببت فيها صبا من جسد الى جسد ٠ لو حدث أيما شىء ٠ لغني عن القول ٠ أن يظهر انسان سواى ، وهذا لا يعني شيئا قليل الأهمية ، اذ أن هذا الخاطر الذى ملأ رأسى مازال يحفر روحى أكثر للرحيق ٠

ثم ألا ترين ٠٠ ؟

هذا الطير مثلا ، انه فرح ببيته ، ولكن أخرجيه وضعى مكانه قطا ، سوف لن يكون بميسورنا أن ننام

بهدوء الطيور ·· يا حلوتي ·· وأنا كونتني الحرية · مثلما كون الاضطهاد · هذا الطير ·

وقد مررت بفترة سوداء خشنة ، لا أستطيع استدعاءها أمام أصدقائي الجدد وهم ــ كما لا يغيب عنك ــ نشأوا في الرحيق · ففي تلك الفترة الزمنية البعيدة لعنت روائح الأجساد الفقيرة وكنت لا مباليا عنيدا وكان خوفي من الجسد قد بدأ يكبر ·· هذا الجسد المريض بالغرائز المتعفنة المكبوتة · كانت متعفنة · وتصدر منها روائح كريهة ، وأثقل لحمي على الروح البائسة وكنت أرفض أن أكون كلبا يطوف المزابل في الليل ··

ولهذا دخلت ·

وليس بالأمر الهين أن يدخل انسان مثلي نبت في حظيرة حيوانات وأقول لك : ضحكت اذا دخلت الحياة الجديدة ·· قرأت للعزيز « فرويد » كي أحلل نفسيات الأصدقاء الجدد وأعرف مرادها بايماءة ، أما ذلك الرجل الذي منحني الضوء الأخضر للدخول فلم يكن غير انسان حقير ومغفل ·· وكنت أطبع له كروت المعايدة مشيدا بذكائه النادر وحنكته العظيمة وخلقه الرفيع ولم أكن لأفصح عن تلك الأحلام الكابوسية التي كنت أراه فيها على هيئة عقرب سوداء ·· وهكذا بلغت ، أول درجات السلم ، ورحت خفية أتسلل وأصعد الواحدة تلو الاخرى

حتي رأيت وجهي لامعا من خلال شاشة التليفزيون يلوح بكفيه وبابتسامته التي صارت مألوفة ٠

هكذا وصلت ٠

آه يا حلوتي ٠٠ كنت أبحث عن حظي في الحظائر ولم أدر أنه هناك ٠

لقد آن أن أمشي تحت الأرصفة فلا أقرأ لافتاتها ، وأن أحفر بأظافري في هذا الحائط الطيني الذي كنت أراه صخرا ، لقد آن أن أحلب هذه البقرة الحمقاء التي حلبت وجودي ٠ آن ٠٠ آن ننام بهدوء الطيور ٠

يا حلوتي ٠

كنت متعبا جدا ٠٠ أقاوم رغبة متسلطة في النوم ٠٠ عدت برأسي الى الخلف مرة أخرى ٠٠ وكنت أشعر كما لو أنني أستنشق السعادة ٠٠ وكنت أراها بجانبي تحدق في السقف بانبهار ٠

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
● الجزء الأول :	
اذعـان صغير	٧
حصة رسم	١٥
شروق البيت	١٩
تلك القصة القصيرة	٢٣
فوزان يقرأ الشوارع ليلا	٢٧
رجلان	٣٣
عمـــود التراب	٣٩
● الجزء الثاني : نصوص صحراوية	
وظيفة	٤٥
فعل غامض	٤٩
خوف	٥١
رأس	٥٣
موسيقى الأجيال	٥٥
مجرد نـداء	٥٧
الرحيق	٦١

صدر من هذه السلسلة :

● الرجل المناسب	(قصص)	فتحي غانم	١
● دموع رجل تافه	(قصص)	عبد الرحمن فهمي	٢
● الجميع يربحون الجائزة	(قصص)	ابو المعاطي ابو النجا	٣
● بالأمس حلمت بك	(قصص)	بهاء طاهر	٤
● رباعيات	(قصص)	شكري عياد	٥
● من قتل الطفل	(مسرحيتان)	عبد الغفار مكاوي	٦
● منتصف ليل القرية	(قصص)	جمال الغيطاني	٧
● رشق السكين	(أقاصيص)	محمد المخزنجي	٨
● وعلى الأرض السلام	(قصص)	فاروق خورشيد	٩
● الأشواق والأسى	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	١٠
● والبحر ليس بملآن	(رواية)	جميل عطية ابراهيم	١١
● أن تنحدر الشمس	(قصص)	سحر توفيق	١٢
● لا تسقني وحدي	(رواية)	سعد مكاوي	١٣
● كهف الأخيار	(قصص)	شكري عياد	١٤
● محطة السكة الحديد	(قصص)	ادوار الخراط	١٥
● حصار القلعة	(م. شعرية)	محمد ابراهيم ابو سنة	١٦
● اربعة فصول شتاء	(قصص)	محفوظ عبد الرحمن	١٧
● سارق الكحل	(قصص)	يحيى حقي	١٨
● انا الملك جئت	(قصص)	بهاء طاهر	١٩
● تاريخ حياة صنم	(قصص)	عبد الرحمن فهمي	٢٠
● الوداع : تاج من الخشب	(قصص)	عبده جبير	٢١
● النجوم العالية	(أقاصيص)	محمود الورداني	٢٢
● قلوب خالية	(رواية)	عبد الرحمن الشرقاوي	٢٣
● الشجرة والعصافير	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد	٢٤
● عطشان يا صبايا	(قصص)	سليمان فياض	٢٥
● طرف من خبر الآخرة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٢٦
● طعم القرنفل	(قصص)	جار النبي الحلو	٢٧
● السحر الأسود	(رواية)	شفيق مقار	٢٨

● تسلق الجدار الأملس	(رواية)	حسني عبد الفضيل	٢٩
● احتضار قط عجوز	(قصص)	محمد المنسي قنديل	٣٠
● رحلة الليل	(مسرحية)	عبد الله خيرت	٣١
● حبات النفتالين	(قصص)	عالية ممدوح	٣٢
● أرض لا تنبت الزهور	(قصص)	محمود دياب	٣٣
● الخسوف	(قصص)	عبد الفتاح الجمل	٣٤
● ما أجملنا	(رواية)	محفوظ عبد الرحمن	٣٥
● لم يعد الضحك ممكنا	(مسرحيتان)	يوسف القعيد	٣٦
● جبال السلم	(قصص)	فاروق خورشيد	٣٧
● الحنان الصيفي	(قصص)	أحمد الشيخ	٣٨
● يوسف والرداء	(قصص)	ابراهيم أصلان	٣٩
● مسألة ليتني	(مسرحية)	يحيى عبد الله	٤٠
● عكس الريح	(قصص)	يوسف أبو رية	٤١
● هل	(قصص)	محمد جبريل	٤٢
● عفاريت الجبانة	(مسرحية)	نعمات عاشور	٤٣
● الطائر والنهر	(قصص)	عائد خصباك	٤٤
● زهر الليمون	(قصص)	علاء الديب	٤٥
● الطواحين	(قصص)	أمين ريان	٤٦
● رائحة البحر	(رواية)	سامي فريد	٤٧
● خطرة صاحب الدولة	(مسرحية)	عاطف الغمري	٤٨
● أسباب للكي بالنار	(قصص)	خيري شلبي	٤٩
● السين والطلسم	(قصص شعري)	بدر الديب	٥٠
● الملاك الأبيض	(قصص)	محمد زفزاف	٥١
● أيام الانسان السبعة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٥٢
● هذا ما كان	(قصص)	محمد البساطي	٥٣
● الغرف الأخرى	(رواية)	جبرا ابراهيم جبرا	٥٤
● الخية حب حزينة	(قصص)	طلعت فهمي	٥٥
● انكسار الحروف	(قصص)	ربيع الصبروت	٥٦
● أخبار الدراويش	(رواية)	عبد الوهاب الأسواني	٥٧
● الليل والغضب	(قصص)	فتحي عبد الفتاح	٥٨
● الشيء	(رواية)	نهاد شريف	٥٩

● نورسمان ايفمان	(قصص)	نعيم عطية	٦٠
● الفيوم ومنابت الشجر	(رواية)	عبد العزيز مشري	٦١
● الصخرة والطوف	(مسرحيات)	فؤاد التكرلي	٦٢
● ستر العورة	(قصص)	سعيد الكفراوي	٦٣
● الوجه الآخر للقمر	(قصص)	محمد سليمان	٦٤
● سفر	(قصص)	محمد المخزنجي	٦٥
● رجال من الرف العالي	(قصص)	سليمان الشطي	٦٦
● رايت النخل	(قصص)	رضوى عاشور	٦٧
● ليلة حب مجنونة	قصص)	ليلى العثمان	٦٨
● المستحيل والقيمة	(تجربة في الديالكتيك)	بدر الديب	٦٩
● النعيم العائم	(مسرحية)	توفيق الحكيم	٧٠
● شمس بيضاء	(قصص)	محمد عبد السلام العمري	٧١
● ديوان الملحقات	(قصص)	عبد الحكيم قاسم	٧٢
● شتاء داخلي	(قصص)	احمد زغلول الشيطي	٧٣
● حكاية شارعنا	(رواية)	وجيه الشربتلي	٧٤
● اذعان صغير	(قصص)	فهد العتيق	٧٥

العدد القادم :

● العشق اوله القرى	(قصص)	ابراهيم فهمي

في اعدادنا القادمة

● منحنى النهر	(قصص)	محمد البساطي
● اغلاق النوافذ	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد
● البحر الرمادي	(قصص)	احمد الشيخ
● وش الفجر	(قصص)	يوسف ابو رية
● احاديث جانبية	(قصص)	جميل عطية ابراهيم
● شدو البلابل والكبرياء	(قصص)	فؤاد قنديل
● مؤامرة البحر	(قصص)	اسماعيل العادلي
● ساعات الكبرياء	(قصص)	ادوار الخراط
● تلك الأشياء	(قصص)	سامي فريد
● احتمالات	(قصص)	محمود جنداري
● البلورة	(قصص)	جمال فاضل
● لحس العتب	(رواية)	خيري شلبي

الاعداد الممتازة القادمة

• المعذبون فى الأرض	(رواية)	طه حسين
• قنطرة الذى كفر	(رواية)	د. مصطفى مشرفة
• خيوط العنكبوت	(رواية)	ابراهيم عبد القادر المازنى
• ابراهيم الثانى	(رواية)	ابراهيم عبد القادر المازنى
• نائب عزرائيل	(رواية)	يوسف السباعى
• فساد الأمكنة	(رواية)	صبرى موسى
• قصص مختارة	(قصص)	يوسف ادريس
• الجبل	(رواية)	فتحى غانم
• قصص مختارة	(قصص)	يوسف الشارونى
• اغنية الرياح الأربع	(دراما شعرية)	على محمود طه
• بحيرة المساء	(قصص)	ابراهيم اصلان

تطلب كتب هذه السلسلة من

• باعة الصحف • مكتبات الهيئة • معارض الكتاب بداخل مصر والخارج

• المعرض الدائم للكتاب • مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٨٣٠٥

ISBN — 977 — 01 — 2837 — 6

من قلب الصحراء ، والمدن القديمة المتجددة قد ينبع الحلم أو يتجدد .. وفهد العتيق ، من السعودية ، صوت من الأصوات الأصيلة حاملة الحلم القديم المتجدد . واستخدام كلمة « الحلم » هنا ليس مجازا ولا هو استعارة . فقصص هذه المجموعة ، تأخذك منذ البداية إلى عالم « حُلمى » تمتزج فيه دقائق الحقيقة المعاشة مع خيوط انفعال وجدان مرهف مع تفاصيل يخلقها عقل ناقد ومتشوق للجمال وللحق ، مؤمن بجدارة الجمال والحق بالوجود ، وهو مترع – أيضا بالأسى – لأن وجودهما لا يكتمل ، وإن تحقق فإنما يتحقق فى الحلم ، ويظل أبدا مشدودا بين الذكرى وبين الأمل . فهل كان للجمال وللحق وجود سابق ضاع ، وهل يمكن أن يوجدا ثانية – أو أبدا – فى ظل واقع « الإذعان الصغير » ؟

إن شخوص فهد العتيق ، تبدو مثل منمنمات دقيقة غائمة تلتقطها العين وسط لوحة هائلة من الأشياء والعلاقات والتواريخ وحقائق الدنيا الساحقة المتمكنة . وهو يرسم بنوعين من الألوان – أو نوعين من التعبير – فى اللوحة الواحدة : للبشر ألوان الماء الخفيفة أو خيوط من حرير ؛ ولحقائق الدنيا ألوان الجواش أو الزيت الثقيل : فهل يكون الحلم – أو مغزاه – أن تزداد ألوان الناس كثافة ، أم أن تزداد ألوان الواقع رقة حتى يتوازن قطبا الإ ويتحقق الحلم أو تستعاد الذكرى ؟ !

مطابع الهيئة المصرية العامة

36
4i
Bibliotheca Alexandrina
10030307
2266 1715
2071554
EA